# الأفعال الكلامية في الأمثال القرآنية

إعداد الطالب
**هاني عبد الصادق سيد أحمد محمد**
**طالب دكتوراه- قسم اللغة العربية- كلية البنات للآداب والعلوم والتربية**

إشراف
أ.م.د/ يحيى فرغل عبد المحسن
**أستاذ العلوم اللغوية المساعد**
**كلية البنات- جامعة عين شمس**

معاونة
د/ فاطمة ممدوح حسين بكير
**مدرس الدراسات الإسلامية**
**كلية البنات- جامعة عين شمس**

# الأفعال الكلامية في الأمثال القرآنية


## ملخص البحث

لعبت التداولية دورًا بارزًا في اللسانيات المعاصرة وفتحت آفاقًا جديدة أمام الدرس اللغوي، وكان لهذا النضج والاتساع الذي شهده الدرس اللساني أثره الواضح في تغيير وجهة اللسانيين العرب وتوجيه أنظارهم إلى اعتناق التداولية؛ رغبةً منهم في الإفادة من مقولاتها وأدواتها التحليلية لفهم منظومة النصوص العربية، ناهيك عن سلسلة من البحوث النظرية التي سعت لتأصيل جهاز المفاهيم التداولي في الثقافة العربية، ومحاولة إعادة إنتاجها في صورة توفيقية.

وتعد الأفعال الكلامية أهم نظرية في اللسانيات التداولية؛ لذا سأركز في هذا البحث على إسقاط هذه النظرية وتطبيقها على نص قرآني هو الأمثال القرآنية التي استخدمها القرآن الكريم للتأثير في الآخرين، وهذه هي غاية التداولية، فضلا عن أن القرآن الكريم يكلم الناس على قدر عقولهم، فيحاور تارة بأوضح عبارة، ويلوح بألطف إشارة تارة أخرى، وكل ذلك دليل على تداولية الخطاب القرآني.



## abstract

Pragmatism played a prominent role in contemporary linguistics and opened new horizons to the linguistic studies. The maturity and breadth of the linguistic studies had a clear impact on changing the direction of the Arab linguists and directing their attention to the embrace of deliberation. A series of theoretical research that sought to consolidate the system of deliberative concepts in Arab culture, and try to reproduce

The .them in a conciliatory way speech acts are the most important theory in the linguistics of deliberation, so I will focus in this research on projecting this theory and applying it to the Quranic text which is the Quranic proverbs used by the Quran to influence others, and this is the main purpose of the deliberation, as well as the Holy Quran speaks to people according to the variety of their understanding, As it is sometimes addresses the speech in the brightest terms, and sometimes it glimpses with the finest signal, all of that is a proof of the deliberation of the Quranic .discourse

**المقدمة**

إن تحليل القرآن الكريم ضمن مناهج لسانية محدثة تتصل بعلم اللغة الحديث، مع الاستعانة بالأدوات اللغوية العربية لهو أمر في غاية الأهمية، فهو من جهة يدل على شمولية هذه المناهج في ضوء تشابه الفعل اللساني الإنساني واتحاده، ومن جهة أخرى يدل على شمولية القرآن الكريم لكل اللغات والمناهج العالمية، وقدرته على مجاراة التطور اللساني في المناهج العلمية الرصينة، فهو نص لكل البشرية بكل لغاتهم وألوانهم وأماكن سكناهم إلى يوم الدين.

فالقرآن الكريم معجزة خالدة تتحدى كلَّ إنسان في كل زمان ومكان، أيًّا كانت ثقافته وأدبه، وقد أفادتنا الدراسات المتعددة التي قام بها أئمةُ البيان على مر العصور أن إعجاز القرآن لا يقتصر على مقياس فني معين في عصر من العصور، وأن أيَّ عصر مهما تقدم في الدراسات اللغوية لا يحيط بإعجاز القرآن، بل إن القرآن معجز وفق أي مقياس صحيح وذوق جمالي سليم في كل عصر وزمان. فمن رام الوصولَ إلى سر إعجازه فلن يجد إلى ذلك سبيلًا، كيف وقد قال تعالى مخاطبًا خلقه: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: ٨٥].

ففيه من القصص والأخبار ما يذكِّر أولي الأبصار، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار، فالأمثال مظهر من أهم مظاهر بلاغته وإعجازه ودقة تصويره الفني، وسحر أسلوبه، وهي محور أساس من المحاور الخمسة التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن القرآن نزل على خمسة أوجه: حلال وحرام ومحكم ومتشابه وأمثال؛ فاعملوا بالحلال، واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم، وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال"(١).

فلم يُغْفِلَها أحد من المفسرين أو البلاغيين أو الكُتَّاب في علوم القرآن، من شتى المدارس وفي مختلف العصور، فكتب فيها أبو عبيد القاسم بن سَلَام وابن قيم الجوزية والحكيم الترمذي وغيرهم من المتقدمين، وكانت دراساتهم لبيان الغرض من ضرب الأمثال، فأبرزوا ما لها من مكانة رفيعة ومنزلة مرموقة، فمنهم من تحدث عن أغراضها وأهدافها، وأشاد بخصائصها وميزاتها، ومنهم من ذهب إلى أنها حكمة العربِ وجوامعُ كلمِها ونوادرُ حكمها وزبدة بلاغتها. **وسوف**

**(١) أخرجه البيهقي، أحمد بن الحسين: شعب الإيمان، تحقيق ومراجعة الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، طبعة مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي- الهند، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م، ٣/ ٥٤٨ رقم ٢٠٩٥.**

**أقتصر في هذا البحث على الأمثال الواردة في وصف الدنيا والتي صرح فيها بلفظ المثل، وهي ثلاثة أمثال.**

**الدراسات السابقة:**

لم أعثر على أي دراسة تناولت الأفعال الكلامية في الأمثال القرآنية، وإنما كان هناك بعض الرسائل الجامعية التي تناولت الأمثال بالدراسة من ناحية لغوية ونصية وحجاجية، مثل:

- الأمثال القرآنية دراسة لغوية: عيد جمال الدين ماينغ جنغ، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٥م، وهي رسالة مطبوعة في مصر، تحدث فيها في الفصل الأول عن البنية الصوتية وأثرها في القرآن الكريم، من خلال الحديث عن الحكاية الصوتية والمناسبة الصوتية وحسن التأليف في الفصل الأول، وفي الفصل الثاني تحدث عن البنية الصرفية من خلال تبادل الألفاظ والإبدال الصرفي، أما في الفصل الثالث فقد تحدث عن البنية النحوية للأمثال القرآنية وأثرها في البيان.

- الأمثال القرآنية دراسة لغوية نصية: فتحي محمد أبو اليزيد، رسالة دكتوراه، كلية الآداب جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٠٨م، وهي مطبوعة بعنوان: "الأمثال القرآنية دراسة في معايير النصية ومقاصد الاتصال". تحدث فيها عن الأشكال والوسائل التي يتحقق بها التماسك النصي من خلال السبك والحبك والقصدية والمقبولية والإعلامية.

- الحجاج في المثل القرآني دراسة في الأسلوب والسياق: زياد سند المطيري، رسالة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة أسيوط، ٢٠١٥م، تناول فيها الباحث في الفصل الأول البعد النظري للحجاج من خلال مسيرته التاريخية والوظيفية وعلاقته بالتداولية، وفي الفصل الثاني تحدث عن البعد الوظيفي من الناحية اللغوية والاصطلاحية، كما تناول دلالية الحجاج من مقصد قرآني، وفي الجانب التطبيقي تحدث عن دلالة المفردة القرآنية وخصائصها حجاجيًّا في المثل القرآني، وحجاجية التركيب المتمثل في العدول الكمي بالزيادة، والعدول الكمي بالنقصان، وحجاجية العدول النوعي. وتناول حجاجية الصورة في المثل القرآني وبعدها الحجاجي، والتناص وأثره في توجيه دلالة الطاقة الحجاجية.

**أما ما سأقوم به في هذا البحث**: فهو دراسة الأفعال الكلامية في الأمثال القرآنية، واستثمار هذه النظرية وتطبيقها على الأمثال القرآنية، فالقرآن الكريم قابل لتحليلات جديدة عبر الأزمنة، وهذا ما جعل إحدى مزاياه القدرة على التأثير في الآخرين، وهذه هي غاية التداولية، فضلا عن أن القرآن الكريم يكلم الناس على قدر عقولهم، فيحاور تارة بأوضح عبارة، ويلوح بألطف إشارة تارة أخرى، وكل ذلك دليل على تداولية الخطاب القرآني.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتي في ثلاثة مباحث، يعقبها خاتمة بأهم نتائج البحث.

**المبحث الأول: تعريف المثل القرآني لغةً واصطلاحًا:**

**أولا: تعريف المثل القرآني لغة:**

يقول ابن فارس: "الْمِيمُ وَالثَّاءُ وَاللَّامُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مُنَاظَرَةِ الشَّيْءِ لِلشَّيْءِ. وَهَذَا مِثْلُ هَذَا، أَيْ نَظِيرُهُ، وَالْمِثْلُ وَالْمِثَالُ فِي مَعْنًى وَاحِدٍ. وَرُبَّمَا قَالُوا: مَثِيلٌ كَشَبِيهٍ. تَقُولُ الْعَرَبُ: أَمْثَلَ السُّلْطَانُ فُلَانًا: قَتَلَهُ قَوَدًا، وَالْمَعْنَى أَنَّهُ فَعَلَ بِهِ مِثْلَ مَا كَانَ فَعَلَهُ. وَالْمَثَلُ: الْمِثْلُ أَيْضًا، كَشَبَهٍ وَشِبْهٍ. وَالْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ مَأْخُوذٌ مِنْ هَذَا، لِأَنَّهُ يُذْكَرُ مُوَرًّى بِهِ عَنْ مِثْلِهِ فِي الْمَعْنَى"[٢].

(٢) أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر، د. ط، ١٩٧٩م، ٥/ ٢٩٦.

وهو نفس ما ذهب إليه ابن منظور حيث يقول: "والمِثْل: الشِّبْه. يُقَالُ: مِثْل ومَثَل وشِبْه وشَبَه بِمَعْنًى وَاحِدٍ"[٣]. وكذلك أبو عبيد: "مِثْل ومَثَل كشِبْه وشَبَه"[٤]. "والمَثَلُ يقال على وجهين: أحدهما: بمعنى المثل. نحو: شِبْه وشَبَه، ونِقْض ونَقَض... والثاني: عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أيَّ معنى كان، وهو أعمُّ الألفاظ الموضوعة للمشابهة"[٥].

**أقول:** قد يصدق الكلام السابق على المثل عامة من أقوال البشر، لكن لا أسلم بأي حال من الأحوال أن هذا ينطبق على القرآن وعلى ما جاء في القرآن من أمثال؛ فلو اعتمدنا ما قالوه في معنى المثل فقد ضيقنا واسعًا، وأول ما يُعترض به على كلامهم:

**أولا**: ورود المَثَل في البيان القرآني وهو أفصح الأساليب في غير موضع على غير ما ذكروه؛ كما في قوله تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ}، {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ}، {لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى}، {وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ}، { وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ}.

فتفسير المثل بالشبه في هذه الآيات فيه تكلف ظاهر، حيث يمكن أن يحمل المثل على معنى آخر بغير تكلف.

**ثانيًا**: دلالة "مِثْل" تختلف عن دلالة "مَثَل" اختلافا بينًا، ومن أمثلتها قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ}، {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ}، {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} فلا يمكن تأويلها هنا بالشبه، "حيث إن المماثلة تقتضي الاشتراك في جميع الأوصاف المعتبرة، أما المشابهة فهي تقتضي الاشتراك في وصف واحد، أو أوصاف بحيث يكون المختلف فيه أكثر من المشترك فيه، وفي المماثلة يصلح كل من الطرفين لأن يكون مشبهًا به لانعدام التفاوت بينهما، فليس واحد منهما أصلا ولا الثاني فرعًا محمولا عليه، بل ذلك من خواص التشبيه، فإذا خرج به على هذا النسق عد التشبيه مقلوبًا وليس هذا بوارد في التمثيل"[٦].

ثالثًا: المثل وإن تضمن معنى الشبه، فإن هذا لا يدعو إلى ربطه بالمثل –بكسر فسكون- مِثْلَ هذا الربط المحكم، حتى لكأن اللفظين لفظ واحد؛ لأن المثل –بكسر فسكون- يمكن أن يطلق على عموم المماثلة، وليس المثل –بالتحريك- كذلك، وقد نبه الراغب الأصفهاني إلى ما في المثل –بكسر فسكون- من عموم، فقال: "والمِثْل عامٌّ في جميع ذلك، ولهذا لمَّا أراد الله تعالى نفي التَّشبيه من كلِّ وجه خصَّه بالذِّكر فقال: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: ١١]"[٧].

**ثانيا: تعريف المثل القرآني اصطلاحًا:**

تعددت تعريفات المثل وتنوعت بتنوع مشارب العلماء، فقيل: هو "القول السائر الذي فيه غرابة من بعض الوجوه. وقيل: المثل ذكر وصف ظاهر محسوس وغير محسوس، يستدل به على وصف مشابه له من بعض الوجوه، فيه نوع من الخفاء؛ ليصير في الذهن مساويًا للأول في

---

(٣) ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤ه، ١١/ ٦١٠.

(٤) ابن سيده، علي بن إسماعيل: المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م، ٣/ ٣٧٣.

(٥) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، طبعة الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، ص٧٥٩.

(٦) أ. د. عبد العظيم المطعني: الحكمة والمثل والتمثيل نظرات في أصولها وخصائصها الفنية، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٣٨٨هـ، العدد ٢١، ص٣٤.

(٧) المفردات في غريب القرآن، ص٧٥٩.

الظهور من وجه دون وجه"[٨]. وذهب الحكيم الترمذي إلى أن الأمثال: "نموذجات الْحِكْمَة لما غَابَ عَن الأسماع والأبصار لتهدي النُّفُوس بِمَا أدْركْت عيَانًا"[٩].

فالمثل وسيلةُ إدراكِ ما لا يمكن إدراكه من الأمور المكنونة لتقريب المراد، وتفهيم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مُثِّل به، فإنه قد يكون أقربَ إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، حيث إن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام، وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير. ففي الأمثال من تأنيس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق -أمر لا يجحده أحد ولا ينكره، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهورًا ووضوحًا.

قال الفارابي: "المثلُ ما تراضاه العامة والخاصة في لفظِه ومعناه حتى ابتذَلوه فيما بينهم، وفَاهُوا به في السراء والضراء واستدروا به الممتنع من الدر، ووصلوا به إلى المطالب القصية، وتفرَّجوا به عن الكرب والمُكْرِبَة، وهو من أَبْلغ الحِكمة؛ لأنَّ الناس لا يجتمعون على ناقص أو مقصِّر في الجودة أو غير مبالغ في بلوغ المَدَى في النَّفَاسة"[١٠].

**<u>وبناء على ما سبق أقول</u>**: من الصعب جدًّا تحديد تعريف جامع مانع للفظ المثل -أعني المثل القرآني- وإلا لما عُدَّ مظهرًا من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، فهو نوع قريب من ذلك النوع المسمى في البلاغة العربية "التشبيه التمثيلي"، هذا إذا ذكر المشبه به في العبارة، فإذا لم يذكر في العبارة كان من الاستعارة التمثيلية، لكن لعل ما ذكر سابقًا يقربنا من المعنى ويوضحه.

**<u>وما أرتضيه</u>** للمثل القرآني أنه: أسلوب بياني يجمع في طيَّاته نماذج حية مستمَدَّة من الواقع المشاهد؛ لتكون هذه النماذج أقيسة عامة للحقائق المجرَّدة، أو الأعمال المجرَّبة، أو الأمور التي لا تقع تحت الحسِّ والإدراك في الدنيا، والتي يترتَّب عليها أحكام شمولية، ويُبْنَى عليها صلاح أمر الناس في الدنيا والآخرة.

**<u>المبحث الثاني: التعريف بالأفعال الكلامية:</u>**

أما الأفعال الكلامية فهي واحد من أهم مجالات الدرس التداولي، بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية، فقد أنكر أوستن أن تقتصر وظيفة اللغة على وصف الوقائع وصفًا يكون صادقًا أو كاذبًا، فرأى أن هناك وقائع لا توصف بصدق ولا كذب، كأن يقول رجل لامرأته مثلا: أنت طالق، أو يقول: أوصي بنصف مالي لمرضى السرطان، أو يقول وقد بشر بمولود: سميته يحيى.

فهذه العبارات وأمثالها لا تصف شيئًا من وقائع العالم الخارجي، ولا توصف بصدق ولا كذب، فهي لا تنشئ قولا بل تؤدي فعلا؛ لذا فهي أفعال كلام، أو أفعال كلامية.

ويمكننا أن نوجز ما قدمه أوستن لنظرية الأفعال الكلامية فيما يلي:

**<u>أولا</u>**: ميز أوستن بين نوعين من الأفعال:

**أ- أفعال إخبارية**: وهي أفعال تصف وقائع العالم الخارجي، فهي صادقة أو كاذبة.

**ب- أفعال أدائية**: تنجز في ظروف ملائمة لا توصف بصدق ولا كذب. ويدخل فيها الوصية والاعتذار والرهان والنصح والوعد.

---

**(٨) أبو حيان محمد بن يوسف: البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، طبعة دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤٢٠هـ، ١/ ١٢٢.**

**(٩) الحكيم الترمذي، محمد بن علي: الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق د. السيد الجميلي، طبعة دار ابن زيدون، بيروت، دمشق، بدون طبعة ولا تاريخ، ص١٤.**

**(١٠) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م، ١/ ٣٧٤- ٣٧٥.**

لكن تبين لأوستن أن تمييزه بين الأفعال الأدائية والإخبارية غير حاسم، حيث إن كثيرًا من الأفعال الأدائية ليس منها، وأن كثيرًا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة أدائية؛ لذا رجع عودًا على بدء إلى السؤال: كيف ننجز فعلا حين ننطق قولا؟

وفي طريقه للإجابة عن هذا السؤال رأى أن **الفعل الكلامي مشتق من ثلاثة أفعال تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، تؤدَّى في وقت التلفظ بالفعل وهي:**

**١- الفعل اللفظي فعل القول**: وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح، ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، فهو يتضمن بدوره ثلاثة أفعال لغوية فرعية؛ فعلا صوتيًّا، وفعلا تركيبيًّا، وفعلا دلاليًّا[١١].

وهذا الفعل يقع دائمًا مع كل قول، لكنه وإن أعطى معنى ذلك القول، فإنه لا يزال غير كافٍ لإدراكنا أبعاد هذا القول؛ فمثلا قولنا:

- إنها ستمطر.

يمكن أن نفهم معناه كاملا، ومع ذلك لا ندري أهو خبر "بأنها ستمطر"، أو هو تحذير من عواقب الخروج في رحلة، أو أمر بحمل المظلة أو غير ذلك.

لذلك يجد أوستن أن علينا أن نسلم بأننا عندما نُقْدِمُ على فعل القول فإننا نقوم معه بـ:

**٢- الفعل الإنجازي المتضمن في القول**: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي. فالفرق بين الفعل الأول والفعل الثاني هو أن الثاني قيام بفعل ضمن قول شيء في مقابل القيام بفعل هو قول شيء. وإن كان فعل القول يشتمل على قواعد النحو وتحديده المعنى المشار إليه، فإن الفعل المتضمن في القول يشتمل على أمر زائد هو القوة التي للقول، فيقال للجملة في موضع ما: إن لها قوة الخبر، وفي موضع آخر: إن لها قوة التحذير، وفي غيره إن لها قوة الأمر... إلخ[١٢].

وأخيرًا يرى أوستن أنه مع القيام بفعل القول وما يصحبه من الفعل المتضمن في القول، قد يكون الفعل قائمًا بفعل ثالث هو التسبب في نشوء آثار في مشاعر أو أفكار أو أفعال المخاطب أو المتكلم أو غيرهما، هذا الفعل يسمى:

**٣- الفعل التأثيري أو الفعل الناتج عن القول**: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع، ومن أمثلته: الإقناع والتضليل والتثبيط.

وقد فطن أوستن إلى أن الفعل اللفظي لا ينعقد الكلام إلا به، **والفعل التأثيري لا يلازم الأفعال جميعًا، فمنها ما لا تأثير له في السامع**، فوجَّه اهتمامَه إلى الفعل الإنجازي حتى غَدَا لبَّ هذه النظرية، فأصبحت تعرف أيضًا به، وعرفت أحيانًا بالنظرية الإنجازية.

وقد قدم أوستن تصنيفًا للأفعال الكلامية على أساس من قوتها الإنجازية يشتمل على خمسة أصناف، ولم يتردد في القول بأنه غير راضٍ عن هذا التصنيف إلا باعتباره مبدئيًّا:

**١- أفعال الأحكام**: وهي التي تتمثل في حكم يصدره قاض أو حكم.

**٢- أفعال القرارات**: وتتمثل في اتخاذ قرار بعينه كالإذن والطرد والحرمان والتعيين.

**٣- أفعال التعهد**: وتتمثل في تعهد المتكلم بفعل شيء مثل الوعد والضمان والتعاقد والقسم.

**٤- أفعال السلوك**: وهي التي تكون ردَّ فعل لحدث ما كالاعتذار والشكر والمواساة والتحدي.

---

**(١١) د. أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، طبعة دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م، ص٢٤.**

**(١٢) طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د. ط، ١٩٩٤م، ص٨.**

**٥- أفعال الإيضاح**: وتستخدم لإيضاح وجهة النظر أو بيان الرأي مثل الاعتراض والتشكيك والإنكار والموافقة والتصويب والتخطئة[١٣].

وعلى الرغم من جهود أوستن التي بذلها في محاولته لدراسة الأفعال الكلامية وتصنيفها في إطار نظرية عامة وشاملة، إلا أن تصنيفه للأفعال الكلامية لم يكن نهائيًّا ولم يكن قائمًا وفق معايير واضحة، مما أدى إلى حدوث نوع من الخلط والتداخل بين التصنيفات التي وضعها، كالتداخل الموجود بين أفعال الأحكام والقرارات، فهي غير واضحة تمامًا، ويمكن إدراج بعض أفعال كل منهما في الأخرى.

فما قدمه أوستن لم يكن كافيًا لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، حيث إنه كان لا يصنف أعمالا بل يصنف أفعالا[١٤]، وهو تصنيف لا يمكن تعميمه؛ لأنه يتطلب التعديل كلما تم الانتقال من لغة إلى أخرى، لكنه كان كافيًا كنقطة انطلاق إليها بتحديده عددًا من المفاهيم الأساسية، حيث استطاع أن يميز بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء هذا الفعل، وتمييزه بين ما تعنيه الجملة وما يعنيه المتكلم بنطقها، وكذا تمييزه بين الأفعال الإنجازية الصريحة والأفعال الإنجازية الأولية، فضلا عن تحديده للفعل الإنجازي الذي يعد مفهومًا محوريًّا في هذه النظرية[١٥].

حتى جاء جون سيرل فأحكم وضع الأسس المنهجية التي تقوم بها، فغدت محاولته مرحلة أساسية تالية لمرحلة الانطلاق التي بدأها أوستن.

فلم يقبل سيرل تصنيف الفعل الكلامي على النحو الذي عرضه أوستن، فربط بين الأفعال الإنجازية وقوتها وبين مفهوم القصد، إذ يعده هدف العملية برمتها، وحدد مفهوم الفعل الإنجازي، فعده الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وحدد مفهوم القوة الإنجازية في تأثر المتلقي بدليل القوة الإنجازية، وهو الذي يبين نوع الفعل الإنجازي الذي يؤدى بالنطق من خلال نظام الجملة أو النبر أو التنغيم، أو علامات الترقيم في اللغة المكتوبة، أو صيغة الفعل أو الفعل الأدائي[١٦].

وعليه قام بتعديل التقسيم وجعله على أربعة أقسام هي جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، أبقى منها على القسمين الإنجازي والتأثيري، وجعل القسم الأول وهو الفعل اللفظي قسمين:

الأول: الفعل النطقي، وهو يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية.

والثاني: الفعل القضوي، وهو يشمل المتحدث عنه أو المرجع والمتحدث به أو الخبر، ونص على أن الفعل القضوي لا يقع وحده، بل يستخدم دائمًا مع فعل إنجازي في إطار كلامي مركب؛ لأنك لا تستطيع أن تنطق بفعل قضوي دون أن يكون لك مقصد من نطقه[١٧].

كما قدم سيرل تصنيفًا بديلا لما قدمه أوستن للأفعال الكلامية، معتمدًا في تقسيمها على ثلاثة أسس منهجية وهي: الغرض الإنجازي، اتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص.

ثم جعلها على خمسة أصناف وهي:

---

**(١٣) محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص١٠١.**

**(١٤) فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، طبعة دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م، ص٦٣.**

**(١٥) د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، طبعة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د. ط، ٢٠٠٢م، ص٧١.**

**(١٦) النظرية البراجماتية اللسانية، ص١٠٤.**

**(١٧) آفاق جديدة في البحث اللغوي ص٧٤.**

١- **الإخباريات**: تقوم على وصف المتكلم لواقعة معينة من خلال قضية، وهذه الأفعال تحتمل الصدق والكذب، وباتجاه المطابقة فيها من القول إلى العالم بحيث يكون القول مطابقًا للوقائع الموجودة في العالم الخارجي.

٢- **التوجيهيات**: والغرض منها توجيه المتكلم للمخاطب من أجل فعل شيء معين، ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، وشرط الإخلاص فيها يتمثل في الإرادة والرغبة الصادقة، والمحتوى القضوي فيها هو دائمًا فعلُ السامعِ شيئًا في المستقبل، ويدخل في هذا الصنف الأمر والنصح والاستعطاف والتشجيع.

٣- **الالتزاميات**: وغرضها الإنجازي هو التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل، ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، وشرط الإخلاص فيها هو القصد، والمحتوى القضوي فيها دائمًا فعل المتكلم شيئا في المستقبل، ويدخل فيها الوعد والوصية.

٤- **التعبيريات**: تعبر عن موقف نفسي تعبيرًا يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس في هذا الصنف اتجاه مطابقة، فالمتكلم لا يحاول أن يجعل الكلمات مطابقة للعالم الخارجي، ولا العالم مطابقًا للكلمات، ويندرج تحتها الشكر والتهنئة والاعتذار والمواساة.

٥- **الإعلانيات**: والغرض منها إحداث تغيير في العالم الخارجي، وهي تتميز عن الأصناف الأخرى بأن أداءها الناجح يتمثل في مطابقة محتواها القضوي للعالم الخارجي، فإذا أديت إعلان الحرب أداء ناجحًا فالحرب معلنة، كما أنها تحدث تغييرًا في الوضع القائم فضلا عن أنها تقتضي عرفًا غير لغوي، واتجاه المطابقة فيها تبادلي، يكون من الكلمات إلى العالم، أو من العالم إلى الكلمات، ولا يحتاج إلى شرط الإخلاص في كل إعلان(١٨).

وأخيرًا تناول سيرل مستويات الاستعمال اللغوي، وقسم معاني القول إلى نوعين؛ أولهما: الأفعال الإنجازية المباشرة أو المعنى الحرفي، وهذا المستوى أيسر المستويين؛ لأنه يتناول اللغة العادية ذات المعنى المحدد. والثاني: غير المباشرة أو غير الحرفية، وهو مستوى أعمق من سابقه لإعمال العقل فيه والتخييل، إذ يتعلق بالمعنى المفهوم غير المباشر من وراء اللفظ.

فبيَّن أن الأفعال الإنجازية المباشرة هي التي تطابق قوتها الإنجازية مرادَ المتكلم، أي أن ما يقوله يكون مطابقًا لما يعنيه. أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم. وضرب المثال التالي للأفعال الإنجازية غير المباشرة:

إذا قال رجل لرفيق له على مائدة طعام: هل تناولني الملح؟

فهذا فعل إنجازي غير مباشر، إذ قوته الإنجازية الأصلية تدل على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، حيث إنه مسبوق ومصدر باستفهام وهو "هل".

لكن الاستفهام غير مراد للمتكلم، بل هو طلب مهذب يؤدي معنى فعل إنجازي مباشر هو: ناولني الملح من فضلك.

**<u>وبناءً على ما سبق</u>**: فإن أوستن كان مؤسسًا لهذه النظرية، لكن التطوير الأساسي للنظرية تحقق على يد سيرل، حيث ظهرت على يده نظرية منتظمة لاستعمالات اللغة بمصطلحات الأفعال الكلامية؛ ومن ثمَّ فقد كان سيرل مطورًا للقواعد التي أرساها أستاذه أوستن، فلم يبدأ التلميذ من فراغ ولم ينشئ من العدم.

## <u>المبحث الثالث: الأفعال الكلامية في الأمثال القرآنية:</u>

(١٨) النظرية البراجماتية اللسانية، ص١٠٦- ١٠٧.

وردت الأمثال القرآنية في مواضع عدة، توزعت في موضوعات مختلفة، وقد اختلفت طرق الخطاب القرآني تبعًا لاختلاف المعاني التي يحاول إيصالها إلى المتلقي، ومن ثمَّ حث المتلقي على الوثوق والاقتناع به، وتلبية الأوامر والنواهي التي ترد في الخطابات، مع استعمال الأدوات التداولية وتوظيفها في ذلك السبيل.

ومن هذه الأمثال الواردة في القرآن الكريم، قوله تعالى في وصف الدنيا: **{ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** [يونس: ٢٤].

فقد ورد هذا المثل في وصف الحياة الدنيا وسرعة زوالها وتقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال، لكن الآية سبقت بآية أخرى أراد الله تعالى إثباتها قبل ضرب المثل؛ إذ قال تعالى: **{ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}**، ووجه مناسبة هذا المثل بما قبله: أنه لما كان سبب بغي الناس في هذه الحياة الدنيا هو إفراطهم في حبها والتمتع بزينتها... ضرب بذلك مثلًا يصرف العاقل عن الغرور بها ويرشده إلى الاعتدال في طلبها، والكف عن التوسل في الحصول على ذاتها بالبغي والظلم والفساد في الأرض.

فشبه حال الدنيا -وقد أقبلت بنعيمها وزينتها، وافتتن الناس بها بعد أن تمكنوا من الاستمتاع بها، ثم أسرع ذلك النعيم في التقضي- بحال ما على الأرض من أنواع النبات يسوق الله إليها المطر، فيلتف بعضها على بعض، وتصبح بهجة للناظرين، ثم لا تلبث أن تنزل بها فجأةً جائحةٌ، تستأصلها وتجعلها حطامًا، كأن لم تغن بالأمس.

**فالمثل جاء مشكلا من عشرة أفعال كلامية** حتى قوله: "بالأمس"، وقع التركيب من مجموعها، بحيث لو سقط منها شيء، اختل التركيب.

فجاء الفعل الكلامي الأول **{إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ}**، وهو **فعل كلامي غير مباشر** مصدرًا بـ: "إنما" التي جاءت للتوكيد والمبالغة في سرعة الانقضاء[١٩]، فأكد الله سبحانه وتعالى حقيقة الدنيا بفعل القول الذي يستمد **قوته الإنجازية** من "إنما"؛ فليس تصارع الناس وبغيهم إلا بسبب حرصهم على الدنيا وإفراطهم في التمتع بنعيمها.

كما أنه يشتمل على **قوة تأثيرية** غرضها التنبيه على حقارة هذه الدنيا وتزهيده فيها، ففعل القول "الدنيا" تارةً يستعمل صفةً، وتارة يستعمل استعمال الأسماء، فإذا استعمل صفةً، فالياء مُبْدَلة من واوٍ؛ إذْ هي مشتقَّةٌ من الدُّنُوِّ، وذلك نحو: عليا، فيقولون: دُنْوَى، ولذلك جَرَتْ صفةً على الحياة لدنوها من الإنسان[٢٠]، ويقلبون الواوَ ياءً؛ لأنَّهم يستثقلون الضمَّة والواو.

فنبه الله سبحانه وتعالى المخاطبين على تقلبها وأنها لا تدوم لأحد، فهي تدنو من الإنسان ورغم دنوها تتقلب فلا تدوم لأحد، كالماء إذا أطبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شيء، ولأن الماء لا يقدر أحد أن يدخله ولا يبتل، فكذلك الدنيا لا يسلم أحد دَخَلَها من فتنتها وآفتها، ولأن الماء إذا كان بقدر كان نافعًا منبتًا، وإذا جاوز المقدار كان ضارًّا مهلكًا، فكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها يضر.

---

**([١٩]) البحر المحيط، ٦/ ٣٦.**
**([٢٠]) المخصص، ٣/ ٣١٧.**

ثم ينتقل سبحانه وتعالى إلى **فعل كلامي آخر مباشر** وحقيقة إنجازية أخرى وهي **{أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ}**؛ ليكتمل التأثير في المخاطب، وتزهيده في الحياة الدنيا، فهو ماء من السماء دون الأرض، لا تأثير لكسب العبد فيه ولا حيلة، كما أن الحياة الدنيا لا حيلة للعبد في زيادتها ونقصانها. وماء السماء يستوي فيه جميع الخلائق؛ الوضيع والشريف، والغني والفقير، والمدر والحجر، والشوك والثمر، فكان تشبيه الحياة الدنيا بماء السماء أشد مناسبة ومطابقة، **كما أنه يحتوي على فعل كلامي غير مباشر** غرضه التعجب، أي إذا كانت الحياة الدنيا لا حيلة للعبد في زيادتها ولا في نقصانها، فَعَلَامَ البغي والتناحر؟! **ومعلُومٌ أنَّ الطُّرُقَ غير المباشرة تكون أكثر تأثيرًا من الطرق المباشرة حينما تقتضي أحوال المتلقِّين ذلك.**

ثم جاء الفعل الثالث فعل القول: **{فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ}** مصدرًا بفاء التعقيب؛ ليطوي المشاهد بسرعة عظيمة، فكانت **قوته الإنجازية** في هذا الانتقال السريع الذي تدل عليه الفاء، للإيذان بسرعة ظهور النبات عقب المطر، وإيذانًا بسرعة نماء الحياة في أول أطوارها، فعبَّر عنه بالاختلاط بالماء بحيث ظهر قبل جفاف الماء، **{فَاخْتَلَطَ بِهِ}** أي بسببه نبات الأرض بأن اشتبك بعضه ببعض لكثرته حتى بلغ حد الكمال[٢١]؛ لأن عند نزول المطر يقوى النبات ويختلط بعضه بالبعض، ويشتبك بعضه ببعض، ويصير منظره غاية في الحسن والجمال.

فنقل المخاطب في لمح البصر إلى صورة متحركة كان لها **قوة تأثيرية** من خلال هذا الحذف في مشاهد هذه الصور، **واستبعاد العبارات السطحية التي يمكن لمحتواها القضوي** أن يقوم في الذهن. فأنت ترى أيها المخاطب بعد سقوط المطر على الأرض أن المياه تغطي الأرض، ثم تجد بعد ذلك بأيام أو أسابيع أن سطح الأرض مغطى بالزروع، ثم تنمو هذه الزروع وتختلط أغصانها وتتشابك نتيجة تفاعل هذا الماء مع التربة، **فعمل هذا الحذف على إثارة ذهن المتلقي بهذه الصورة السريعة**.

"ويحتمل أن يراد أن النبات كان في أول بروزه ومبدأ حدوثه غير مهتز، ولا مترعرع، فإذا نزل الماء عليه اهتز وَرَبَا حتى اختلط بعض الأنواع ببعض"[٢٢]، **{مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ}** من الحبوب والثمار للناس، والكلأ والعشب للأنعام وسائر ما يرعى، واستخدام لفظ الفعل "يأكل" بصيغة المضارع تدل **قوته الإنجازية** على أن أهل هذه الأرض المتمتعين بنباتها البهيج يمتد بهم الغرور، وليجون في اللهو كأنهم يعيشون أبدًا، وكأنهم يقدرون على إخلاد الأرض وإخلاد أنفسهم فيها، فهم غارقون في متعها، متقلبون في نعمائها، مسحورون بزخرفها.

**{حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا}** وهو فعل **كلامي غير مباشر وغاية تواصلية** أراد إيصالها إلى المخاطب من خلال التلفظ بـ"حتى" الذي يفيد الغاية، وهي غاية شبَّه بها بلوغ الانتفاع بخيرات الدنيا إلى أقصاه ونضوجه وتمامه، وتكاثر أصنافه، وانهماك الناس في تناولها ونسيانهم المصير إلى الفناء. وقد استمد فعل القول **قوته الإنجازية** من خلال الحذف، فـ"حتى"

---

**(٢١) الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير، طبعة دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ٢/ ٤٩٧.**

**(٢٢) القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، طبعة المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م، ٦/ ٤٤.**

غاية لمحذوفٍ تقديره: وما زال ذلك النبات ينمو ويزهو ويكبر، حتى إذا أخذت الأرض، واستوفت واستكملت إنباتها وأظهرت زخرفها وجمالها وبهجتها من النبات[٢٣].

وإطلاق أخذ الأرض زخرفها على حصول الزينة فيه استعارة مكنية، حيث شبهت الأرض بالمرأة حين تريد التزين فتحضر فاخر ثيابها من حلي وألوان؛ لتنبيه المتلقي على عنصر التشابه بينهما.

ففعل القول بديع اللفظ، عمل على **إثارة ذهن المتلقي وتمشيط عقله وتحريكه**، حيث جعل الأرض متزينة وآخذة زخرفها، وذلك على جهة التمثيل بالعروس إذا أخذت ثيابها الفاخرة من كل لون، فاكتست وتزينت بأنواع الحلي، واستعير الأخذ وهو التناول باليد لاشتمال نبات الأرض على بهجةٍ ونضارةٍ وأثوابٍ مختلفة، واستعير لتلك البهجة والنضارة والألوان المختلفة لفظة الزخرف وهو الذهب، لما كان من الأشياء المبهجة السارة للنفوس.

وفي القاموس: "الزخرف" بالضم الذهب وكمال حسن الشيء، ومن القول حسنه، ومن الأرض ألوان نباتها[٢٤]، والمعنى أن الأرض استوفت واستكملت لونها الحسن المشابه بعضه للون الذهب، وبعضه للون الفضة، وبعضه للون الياقوت، وبعضه للون الزمرد.

ثم ينتقل الخطاب مستخدمًا فعل القول "ازينت" بقوته الإنجازية التي جاءت لتأكيد أخذ الأرض زخرفها، فهو **ملفوظ تقريري غير مباشر** جاء لتأكيد اكتمال مغريات الحياة الدنيا، التي تغوي بها الناس، فـ: "ازَّيَّنَتْ" فعل ماض، أصله: تزينت، فأدغمت التاء في الزاي بعد قلبها زايًا، وقلبت التاء زايًا ولم تقلب الزاي تاء؛ لأن فيها زيادة صوت، كما أنها من حروف الصفير[٢٥]، وكأنها تغوي الناس وتلفت انتباههم إليها بصفيرها؛ أي: بنباتها وما أودع فيها من الحبوب والثمار والأزهار وحب الشهوات من النساء والبنين والأولاد، قال تعالى: **{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ}** [آل عمران: ١٤]، فهذا هو متاع الحياة الدنيا.

وقوله: **{وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا}** ملفوظ تقريري جاء لتأكيد الخديعة التي تعرضوا لها من قبل مغريات الحياة الدنيا، وظنهم أن لا حياة بعدها، وأن نعيمها دائم لهم، وأنهم قادرون عليها، أي على حصادها والانتفاع بها. فـ"ظن" **فعل قول إنجازي** يفيد العلم في زعمهم، ولكن لأنه غرور وضلال عُبر عنه بالظن، فأهلها يظنون أنها بجهدهم ازدهرت، وبإرادتهم تزينت، وأنهم أصحاب الأمر فيها، لا يغيرها عليهم مغير، ولا ينازعهم فيها منازع.

ولكن دوام الحال من المحال، ففي وسط هذا الخصب، ونشوة هذا الفرح، وفي غمرة هذا الاطمئنان الواثق، **{أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا}**... ففي ومضة وخطفة كان فعل القول في جملة "أتاها" دليلا على شدَّة الأمر وفظاعته. وذلك مقصودٌ في الخطاب بعد الإطالة في عرض مشهد الخصب والزينة والاطمئنان؛ **لإثارة انتباه المتلقين**، فهذه هي الدنيا التي يستغرق فيها بعض

---

**(٢٣) محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة الشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، طبعة دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م، ١٢/ ٢٠٩.**

**(٢٤) الفيروزآبادي أبو طاهر محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ص٨١٥.**

**(٢٥) د. وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، طبعة دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١١/ ١٤٧.**

الناس، ويضيعون آخرتهم كلها لينالوا منها بعض المتاع، هذه هي، لا أمن ولا اطمئنان، ولا ثبات ولا استقرار، ولا يملك الناس من أمرها شيئًا إلا بمقدار.

فجملة **{أَتَاهَا أَمْرُنَا} فعل قول إنجازي**، نتلمس فيه دلالة الإنذار بالتهديد لأهل الحياة الدنيا، وقوته الإنجازية تظهر في قدرة الله سبحانه وتعالى على إنزال العذاب بهم، وجعل التمثيل أعلق بحياتهم، وذلك كقوله تعالى: **{حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ}** [الأنعام: ٤٤]، ويزيد تلك الإشارة وضوحًا قوله: **{وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا}** المؤذن بأن أهلها مقصودون بتلك الإصابة(٢٦).

وأَبْهَمَ في هذا الفعل الإنجازي **{لَيْلًا أَوْ نَهَارًا}** -وقد علم الله تعالى متى يأتيها أمره- لتأكيد سرعته الإنجازية بنزول العذاب بهم فجأة في زمن لم يتوقعوه في جزء من الليل أو جزء من النهار، وجاء هذا المعنى في قوله تعالى: **{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧) أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ}** [الأعراف: ٩٧- ٩٨]، وقد "تكون أو للتنويع؛ لأن بعض الأرض يأتيها أمره تعالى ليلا وبعضها نهارًا، ولا يخرج كائن عن وقوعه فيهما"(٢٧).

ثم لا تلبث فاء التعقيب أن تعود مرة أخرى، وتلوح في سرعة من خلال قوتها الإنجازية لتحدث المفاجأة في غمرة الافتتان بزهرة الدنيا، فيأتي أَمْرُ الله **{فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا}** أي محصودًا لا شيء فيها كالذي حصد بالمناجل، فهو فعيل بمعنى مفعول، وهو فعل قول يستمد قوته الإنجازية من خلال التصوير السريع البليغ؛ ليسهل إدراك الأمور على وجهها الصحيح، ولتكون الأحوال المشاهدة خير دليل معبِّر عن الواقع، وعبرة للمتأمِّل المتَّعظ، فشبَّههم بعد حلول العذاب بهم بالحصيد، وهو الزرع المحصود، ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو الاستئصال من المنابت(٢٨).

فيترك للإنسان ولعقل المخاطب –**من خلال القوة التأثيرية**- أن يتخيل مشهد الأرض الحصيد اليابسة الزائلة، ليذكر صورتها الأولى في نضارتها وزينتها، فيدرك أن زينتها خادعة، وأن حقيقتها فانية.

ونرى براعة وصف هذا العذاب، وتصوير مدى الهلاك الذي أحاط بهذه الأرض بقوله تعالى: **{كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ}**، فهو فعل قول إنجازي منفي بلم، وهي حرف نفي لما مضى، وسر قوته الإنجازية في المبالغة في التلف والهلاك حتى كأنها لم توجد قبلُ، ولم يكن لها وجود فيما مضى من الزمان، لسرعة الانتقال من حالة الوجود إلى حالة العدم، فكأن حالة الوجود ما سبقت له بالأمس.

كما يستمد فعل القول قوته الإنجازية من إطلاق الخاص بمعنى العام في قوله: **{بِالْأَمْسِ}**؛ وهو اسم ظرفي دال على الزمن الماضي البعيد، لا خصوص اليوم الذي قبل يومك(٢٩)، ولا مانع أن يدل على الأمس القريب(٣٠)، كما أن فيه إيحاء بقصر مدة الصورة الأولى، وسرعة زوالها،

---

(٢٦) ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤م، ١١/ ١٤٣.
(٢٧) البحر المحيط في التفسير، ٦/ ٣٩.
(٢٨) تفسير حدائق الروح والريحان، ١٨/ ٦٣.
(٢٩) فتح البيان في مقاصد القرآن، ٦/ ٤٦.
(٣٠) أبو زهرة محمد بن أحمد بن مصطفى: زهرة التفاسير، طبعة دار الفكر العربي، بدون طبعة ولا سنة طبع، ٧/ ٣٥٥١.

وانمحائها. فصورة فناء الدنيا تلقي في الحس احتقارها، وخداع مظاهرها، وتوجِّه المخاطب –من **خلال القوة التأثيرية**- إلى الحياة الباقية في الدار الآخرة، وهذا ما يهدف إليه تصوير المثل هنا، فيقول سبحانه بعد ذلك: **{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [يونس: ٢٥].

ثم يختم الله سبحانه وتعالى المثل بتذييل جامع، وفعل كلامي مباشر وهو **{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}**، أي أن بمثل هذا التفصيل الواضح نبين الدلالات كلها الدالة على عموم العلم والقدرة وإتقان الصنع، فهو **فعل قول إنجازي إحالي**، الغرض من إيراده التعليق على معلومة واردة في الخطاب السابق وإيضاحها وتبيينها، أو تعديلها وتصحيحها، فيلعب هذا المكون دوره الخاص في عملية التخاطب، تتضح صورته في اللام في **{لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}** وهي لام الأجل[٣١]، أي لأجل التفكر والتدبر.

فتتمثل **قوته التأثيرية** في حث المتلقي على إعمال نظره في سرعة زوال الحياة الدنيا وفنائها، وأنها زخرف خدَّاع، سرعان ما يبهت وينطفئ بريقه.

وفيه **تأثير ضمني وفعل كلامي غير مباشر** من خلال التعريض بأن الذين لم ينتفعوا بالآيات ليسوا من أهل التفكر، ولا كان تفصيل الآيات لأجلهم، فإذا كانت الدنيا كلها مثل عملية الزرع في الأرض الذي ينمو ويزدهر ويزدان، ثم ينتهي، ألا يجب أن تنتبه أيها المخاطب إلى أن كل زخرف إلى زوال؛ وعليك ألا تفتتن بزينة الدنيا ومتاعها في شيء، وأن تحرص على ألا تبغي في الأرض، فهي إلى زوال.

ثم يأتي المثل الثاني في وصف الحياة الدنيا، وهو قوله تعالى:

**{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا}** [الكهف: ٤٥].

وهذا المثل يرتبط بالمثل الأول بعدة روابط تعبيرية وتصويرية وفكرية؛ من أهمِّها: اعتماد تصوير المثل على "الماء" واختلاطه بالنبات، وتغلغله في عروقه، للإيحاء بحب الناس للحياة الدنيا، ثم التماثل في نهاية التصوير بين المثل الأول والثاني، في فناء الدنيا، والإيحاء بالدار الباقية، وقوة الله القادر على كل شيء.

فهذا المشهد يعرض قصيرًا خاطفًا ليلقي في نفس المخاطب ظل الفناء والزوال، فالماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل، ولكن يختلط به نبات الأرض، والنبات لا ينمو ولا ينضج، ولكنه يصبح هشيمًا تذروه الرياح، **فما بين ثلاث جمل قصار، وثلاثة أفعال كلامية متتابعة:**

**{كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ}، {فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ}، {فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ}.**

ينتهي شريط الحياة، فما أقصرها من حياة!

ومع هذا فقد عرض أطوار النبات كلها لم ينقص منها شيئًا -إلا الأطوار الثانوية- عرض الماء الذي يسبقه، ويختلط بالأرض فتنبته؛ وعرض نضجه، وعرض تذريته، فماذا بقي من حياة النبات إلا الأطوار الثانوية؟ فلقد اجتمعت لهذا التعبير كل عناصر الصدق والدقة والجمال:

---

**(٣١) التحرير والتنوير ١١/ ١٤٤.**

الصدق في عرض أطوار النبات، فلم ينقص شيئًا منها لتحقيق الغرض الديني. والدقة؛ لأنه حقق غرض الصورة كاملًا، والجمال لأن سرعتها الخاطفة مما ينشط له الخيال[٣٢].

وقد بدئ المثل بـ: **{وَاضْرِبْ}**، وهو فعل قول إنشائي، يستمد قوته الإنجازية من صيغة الأمر، **فهو من قبيل الأمريات التي تمثل محاولة المتكلم لتوجيه المستمع، وهو هنا شخص النبي صلى الله عليه وسلم، للقيام بفعل شيء ما في المستقبل، وهو ضرب المثل وذكره وتبليغه، وهو ما يعرف بقوته التأثيرية**.

ثم ينتقل المثل في سرعة خاطفة ينشط لها ذهن المتلقي بعد عرض الدنيا وزينتها التي نتجت من اختلاط الماء بأصول النبات والتفافه بعضه ببعض، لتمثل لنا صورتها الحقيقية في مشهد خاطف يلقي في النفس ظل الفناء والزوال **{فَأَصْبَحَ هَشِيمًا}**، فالماء ينزل من السماء فلا يجري ولا يسيل، لكنه يختلط بنبات الأرض، والنبات لا ينمو ولا ينضج، لكنه يصبح هشيمًا تذروه الرياح.

وهو فعل **قول لفظي مباشر**، يستمد قوته الإنجازية من استخدام الفعل "أصبح"، ولا يراد تقييد الخبر بالصباح، بل هو بمعنى صار، وقيل: هي دالة على التقييد بالصباح؛ لأن الآفات السماوية أكثر ما تطرق ليلا[٣٣].

فالماء ينزل من السماء فيختلط به نبات الأرض، وحينئذ يربو ذلك النبات ويهتز ويحسن منظره، كما قال تعالى: **{فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ}** [الحج: ٥]، ثم لا يلبث ذلك النبات أن صار هشيمًا، فهو اسم جامد على وزن فعيل بمعنى مفعول أي مهشوم، والمراد يابسًا مكسرًا مفتتًا. قال الزمخشري: الهشيم ما تهشم وتحطَّم، الواحدة هشيمة، وقال ابن قتيبة: كل ما كان رطبًا ويبس فهو هشيم، ويقال: صارت الأرض هشيمًا؛ أي: صار ما عليها من النبات والشجر قد يبس وتكسر، ورجل هشيم ضعيف البدن، وتهشم عليه فلان إذا تعطف، واهتشم ما في ضرع الناقة إذا احتلبه، وهشم الثريد كسره وثرده[٣٤].

**ففعل القول يستمد قوته الإنجازية** من خلال التصوير السريع البليغ؛ ليسهل إدراك الأمور على وجهها الصحيح، ولتكون الأحوال المشاهدة خير دليل معبِّر عن الواقع، فكذلك هي الدنيا تزدهي، لكن سرعان ما تزول، تبدأ ابتداءً مقنعًا مغْريًا، وتنتهي انتهاءً مؤسفًا، فيترك للإنسان ولعقل المخاطب –**من خلال القوة التأثيرية**- أن يتخيل مشهد الهشيم، فيدرك أن زينتها خادعة، وأن حقيقتها فانية.

ونرى البراعة في وصف هذا الهشيم المكسر، وبيان مدى خفته ولطفه من خلال قوله تعالى: **{تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ}**، أي: تحمله، وتفرقه، وتطيِّره، فليس منه انتفاع نهائيًّا، قال الجوهري: ذرت الريح التراب وغيره تذروه وتذريه ذَرْوًا وذَرْيًا أي نسفته، ومنه قولهم: ذرَّى الناس الحنطة، وأذريت الشيء إذا ألقيته، كإلقائك الحب للزرع. وطعنه فأذراه عن ظهر دابته، أي ألقاه[٣٥].

---

**(٣٢) سيد قطب إبراهيم: التصوير الفني في القرآن، طبعة دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشرة، د. ت، ص١٢٩.**
**(٣٣) البحر المحيط ٧/ ١٨٥.**
**(٣٤) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ ، ٢/ ٧٢٥. وحدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ١٦/ ٤٠١. ولسان العرب، ١٢/ ٦١٢.**
**(٣٥) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ٦/ ٢٣٤٥.**

فهو **فعل لفظي مباشر** جاء للتأكيد، وسر **قوته الإنجازية** تكمن في المبالغة في التلف والهلاك وكأن حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يعقبها من الهلاك والفناء، حال النبات يكون أخضر وارفًا ثم يهيج فتطيره الرياح وتذهب به وتجيء، فكأنه بقدرة الله لم يكن، فحصل بهذا الفعل تأكيد لمفاد الأول، فجاء الكلام مؤكدًا موجزًا، **له قوة تأثيرية في المستمع**؛ ليتعظ بما تئول إليه الدنيا بعد نضرتها، وصيرورتها إلى الزوال، فلا يغترن بها، ولا يفخرن ذو الأموال الكثيرة بأمواله، ولا يستكبرن بها على غيره. فإذا كانت أحوال الدنيا تظهر أولا في غاية الحسن والنضارة، ثم تتزايد قليلا قليلا، ثم تأخذ في الانحطاط إلى أن تنتهي إلى الهلاك والفناء، فمثل هذا الشيء لا ينبغي لعاقل أن يبتهج بما يحوزه منها، أو يفخر به، أو يصعِّر خدَّه استكبارًا؛ فإنَّما هي ظلٌّ زائلٌ، وضيفٌ راحل.

ثم يذيل الله سبحانه وتعالى المثل بفعلٍ لفظيٍّ جامع **{وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا}**، فهي جملة معترضة في آخر الكلام، لها **قوة إنجازية تذكيرية** بقدرة الله تعالى على خلق الأشياء وأضدادها، وجعل أوائلها مفضية إلى أواخرها، وترتيبه أسباب الفناء على أسباب البقاء، وذلك اقتدار عجيب، وقد أفيد ذلك على أكمل وجه بالعموم الذي في قوله: **{عَلَى كُلِّ شَيْءٍ}** وهو بذلك العموم أشبه التذييل[٣٦]؛ ليرتبط الإنسان المخاطب بالقوة الإلهية القادرة على الإحياء والإماتة في كل حين، **وهو الغرض التأثيري**.

كما أن قوتها الإنجازية مستمدة من قوله تعالى: **{مُقْتَدِرًا}**، أي: قادرًا لا يعجزه شيء، والمقتدر مفتعل من اقتدر؛ فالله ذو الجلال والإكرام قادر على كل شيءٍ إنشاءً وفناءً وإعادة، فهو يُوجِدُ الأشياءَ، ثم ينميها ثم يفنيها، فكثيرًا ما يصيِّرُ الفقيرَ غنيًّا، والغنيَّ فقيرًا، فلا ينبغي أيها المخاطب أن يكون هذا المال أو هذه الدنيا موضع فخار بالنسبة لك؛ وإنَّما الذي يجب أن يكون أساس التفاخر وعمدة التفاضل، هو طاعة الله وعبادته، والعمل على ما يرضيه في دار الكرامة، حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، **{وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا}** [الكهف: ٤٦].

* ومثل هذا المثل مثل آخر في المعنى والاتجاه، وهو المثل الثالث في وصف الدنيا، لكنه يختلف عنه في حلقة منه؛ ليؤدي غرضًا آخر مع هذا الغرض السابق، قال تعالى:

**{اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}** [الحديد: ٢٠].

فالصورة المعروضة لقصر الحياة متحدة تقريبًا مع الصورة الأولى، ولعل هذا يخيل للبعض أن هناك تكرارًا كاملًا؛ ولكن الواقع أن هناك اختلافًا دقيقًا، فقد أطال في هذا المثل عرض الحياة الدنيا كما يراها الكفار، فهي لعب ولهو، وزينة وتفاخر، وتكاثر في الأموال والأولاد؛ ليقول: إن هذا الذي تعجبون به كله، وهذا الذي تستطيلون أمده، إنما هو في الحقيقة ظل زائل، كالغيث الذي يعجب الزراع نباتُه، ثم يهيج فتراه مصفرًّا، ثم يكون حطامًا.

---

**([٣٦]) التحرير والتنوير ١٥/ ٣٣٢.**

ففي المثلين السابقين كان الاختصار بحذف المراحل الثانوية، أما في هذا المثل فهو يعرض قصر الحياة على النحو نفسه، مع زيادة في الاختصار، فيمسك بطرفي الحياة ويجمعها في ومضة خاطفة، ولكنها من طرف خفي، قد عرضت طول الحياة من مبدئها إلى منتهاها.

وقد افتتح المثل **بفعل قول إنشائي** "اعلموا" وهو من قبيل الأمريات، يستمد **قوته الإنجازية** من صيغة الأمر، **لغرض تأثيري** وهو الاهتمام بما يتضمنه المثل وحث المخاطبين على التأمل فيما بعده، وهو هنا يشير إلى أن الكلام الذي بعده له مغزى عظيم غير ظاهر؛ وذلك من أساليب الكلام البليغ أن يفتتح بعض الجمل المشتملة على خبر أو طلب فهم بـ"اعلم" أو "تعلَّم"؛ لفتًا لذهن المخاطب، وتهيئة للسامع لتلقي هذه الموعظة.

وفيه تعريض غالبًا بغفلة المخاطب عن أمر مهم، فمن المعروف أن المُخْبِرَ أو الطالب ما يريد إلا علم المخاطب، **فالتصريح بالفعل الدال على طلب العلم مقصود للاهتمام**.

**{أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ}** و"أنما" المفتوحة الهمزة أخت "إنما" المكسورة الهمزة، وهي **فعل قول إنجازي غرضه إفادة الحصر.** وحصرُ الحياةِ الدنيا في الأخبار الجارية عليها هو قصر أحوال الناس في الحياة على هذه الأمور الستة باعتبار غالب ما تنصرف إليه همم غالب الناس من شئون الحياة الدنيا، كما أنه يشتمل على **قوة تأثيرية** الغرض منها التنبيه على حقارة هذه الحياة الدنيا وسرعة زوالها مع قلة جدواها، واشتمالها على أشياء لا تدوم ولا تجدي، فهي لعبٌ ينقضي دون فائدة، ولهوٌ بعد انقضائه لا يبقى إلا الحسرة، وزينةٌ تحسِّن القبيح وتجتهد في تكميل الناقص، وتفاخر بالصفات الفانية الزائلة، وتكاثر في الأموال والأولاد، فمضارها مجتمعةٌ ومتواليةٌ.

ثم يصور الله عز وجل الدنيا كلها بصورة هزيلة زهيدة تهوِّن من شأنها وترفع النفوس عنها، وتعلقها بالآخرة وقيمها، فيضرب لها مثلا مصورًا على طريقة القرآن المبدعة فيقول: **{كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا}**، وهو **فعل لفظي مستأنف، تكمن قوته الإنجازية في عدة وسائل تداولية** يأتي الحذف في مقدمتها أي حذف المسند إليه المعبر عنه عند علماء المعاني بمتابعة الاستعمال[٣٧]، أي استعمال العرب، عندما يجري ذكر موصوف بصفات أن ينتقلوا من ذلك إلى الإخبار عنه بما هو أعظم مما تقدم ذكره؛ ليكسب ذلك الانتقال تقريرًا للغرض؛ وليكتمل التأثير في المخاطب، وتزهيده في الحياة الدنيا.

ثم يعقب هذه الوسيلة العطف بالفاء و"ثم"، حيث تم عطف جملة "يهيج" بـ"ثم"؛ لإفادة التراخي الرتبي، لأن اصفرار النبات أعظم دلالة على التهيؤ للزوال، وهذا هو الأهم في مقام التأثير في المستمع وتزهيده في متاع الدنيا. وعطف **{فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا}** بالفاء التي تدل على العطف والتعقيب بلا مهلة؛ لأن اصفرار النبات مقارب ليبسه، وهذا إيذان بسرعة الاصفرار، والتغير عما كان عليه من الخضرة والرونق إلى لون الصفرة والذبول، وعطف **{ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا}** بـ"ثم" التي هي للتراخي الزمني، ليكتسب الخطاب **قوة تأثيرية** في نفس المخاطب، فمهما طال وامتد هذا الحب للأشياء الفانية، فلاشك أن نهايته معروفة، وهي **{ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا}**، وفي ذلك أبلغ الأثر في نفس المستمع لبيان حقيقة هذه الصور المحبوبة الزائلة، حتى لا يتعلق بها الإنسان.

---

**([٣٧]) التحرير والتنوير ٢٧/ ٤٠٤.**

كما تكمن قوته الإنجازية في **حسن اختيار الألفاظ**، فلم يقل سبحانه: "كمثل مطر"، أو أي لفظ يؤدي نفس الدلالة، بل "كمثل غيث"، فالغيث هو المطر الذي يأتي وقت الحاجة بعد الجفاف، يقال: غاث الغيث الأرض أي أصابها، وغاث الله البلاد يغيثها غيثًا إذا أنزل بها الغيث، وغيثت الأرض تغاث غيثًا، فهي أرض مَغِيثة ومغيوثة[٣٨]. فالغيث ما كان نافعًا في وقته عند قلة المياه، والمطر قد يكون نافعًا وضارًّا في وقته وغير وقته، أي أن الغيث مخصوص بالمطر النافع بخلاف المطر؛ فإنه عام، ليس ذلك فحسب بل نزل الغيث فأغاث الأرض بعد جدبها حتى اخضرت وازينت وبلغت كمال زينتها، ودل على ذلك حسن انتقاء الفعل "أعجب"، فهو غاية ما يستحسن.

وقوله: "الكفار" فيه قولان؛ الأول: المراد من الكفار الزراع وهو قول ابن مسعود رضي الله عنه. قال الأزهري: والعرب تقول للزارع: كافر؛ لأنه يكفر البذر الذي يبذره بتراب الأرض، وإذا أعجب الزراع نباته مع علمهم به فهو في غاية الحسن.

الثاني: أن المراد بالكفار في هذه الآية الكفار بالله وهم أشد إعجابًا بزينة الدنيا وحرثها من المؤمنين؛ لأنهم لا يرون سعادة سوى سعادة الدنيا[٣٩]، فعملت التورية على **إثارة ذهن المستمع والمتلقي من خلال المعنيين القريب والبعيد**؛ فالقريب أسرع إلى الذهن ترددًا وحصولًا من المعنى البعيد، وفي هذا اختبار لذكاء المتلقي والتأثير في نفسه بما يُعْجِبُه من أداءٍ فني يستخدم فيه **فعل كلامي غير مباشر**.

أما الفعل "يهيج" فهو **فعل إنجازي من قبيل أفعال الإثبات، وهي أفعال وصف المتكلِّم للمتكلَّم عنه لإثبات صدق كلامه**، وله بعد تداولي آخر من خلال انتقاء الفعل، فلم يقل سبحانه: "يجف أو ييبس" أو أي فعل آخر يؤدي دلالة الفعل نفسها، فهو فعل يأسر المتلقي بما له من معنى معجمي كفيل بالتأثير على المتلقي، فقد تضافرت كلمات المفسرين على تفسير يهيج بـ: ييبس أو يجف، ولم يستظهروا بشاهد من كلام العرب يدل على أن من معاني الهياج الجفاف، وقد قال الراغب: يقال: هاج البقل، إذا اصفر وطاب[٤٠]، وفي "الأساس": ومن المجاز... هاج البقل، إذا أخذ في اليبس[٤١]. وهذان الإمامان لم يجعلا "هاج" بمعنى "يبس"، فالوجه أن الهياج: مقاربة اليبس، لأن مادة الهياج تدل على الاضطراب والثوران؛ وذلك ابتداء جفافه.

وزاد في تعظيم هذا المعنى للحث على تدبره إسنادُه إلى خير الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **{فَتَرَاهُ}** أي أنك تراه آخذًا في الجفاف بعد تلك الزهرة والبهجة والنضرة، وهو من قبيل **استخدام الالتفات** استخدامًا بارعًا يُحَقِّق فوائد في نفس المتَلَقِّي أو فكره، مع ما يحقق من الاقتصاد والإيجاز في العبارة.

ولما كان الزرع يشيخ بعد مدة قصيرة فيضمحل كما هو شأن الدنيا كلها، قال: **{ثُمَّ يَكُونُ}** مستمدًّا **قوته الإنجازية** من التعبير بالكون؛ لأن السياق للتزهيد في الدنيا وأنها ظل زائل وعدم لا

---

**(٣٨) لسان العرب ٢/ ١٧٥.**

**(٣٩) الأزهري، محمد بن أحمد الهروي: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، ١٠/ ١١٣.**

**(٤٠) المفردات في غريب القرآن، ص٨٤٨.**

**(٤١) الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو: أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل عيون السود، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ٢/ ٣٨٥.**

حقيقة لها وهو **الغرض التأثيري**، على عكس ما جاء في سورة الزمر **{ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا}** [الزمر: ٢١] لإظهار قدرة الله التامة.

ثم لما ذكر سبحانه حقارة الدنيا وسرعة زوالها ذكر ما أعده للعصاة في الدار الآخرة، وما أعده لأهل الطاعة قال: **{وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ}** فهو فعل لفظي من أفعال الوعد والوعيد، وهي أفعال تلزم المخاطب بسلسلة من الأفعال المستقبلية، أو هو من أفعال التعهد والتي لها علاقة بالمتكلم إذ يعبر الباثُّ من خلالها عن التزامه بفعل شيء معين مثل الوعد والوعيد والعزم، ويستمد **قوته الإنجازية** من ذكر مقابل الحياة الدنيا على عادة القرآن، وللفعل الإنجازي **قوة تأثيرية** غرضها التحذير والتحريض بقرينة السياق، ولذلك لم يبين أصحابَ العذاب وأصحابَ المغفرة والرضوان لظهور ذلك.

فالآخرة لا تنتهي في لمحة كما تنتهي الحياة الدنيا، وهي لا تنتهي إلى حطام كالنبات البالغ أجله، وإنما حساب وجزاء، ودوام يستحق الاهتمام. وهذا التعقيب في نهاية المثل يتفاعل مع بدايته، عن طريق المقابلة حيث قابل العذاب بشيئين، بالمغفرة والرضوان، من باب: لن يغلب عسر يسرين، والتنكير فيهما للتعظيم، "قال قتادة: عذاب شديد لأعداء الله، ومغفرة من الله ورضوان لأوليائه وأهل طاعته"[٤٢]؛ للإيحاء بأن صور الدنيا المختلفة زائلة فانية، وما في الآخرة من صور النعيم هو الباقي الخالد، وبذلك تتقابل الصورتان في ذهن المخاطب، وتتفاعلان، لتحقيق الموعظة والعبرة، والأثر الديني الذي هو هدف تصوير المثل[٤٣].

وجملة **{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}** تذييل للكلام بذكر حقيقة هذه الحياة الدنيا، فما لهذا المتاع حقيقة ذاتية، إنما يستمد قوامه من الغرور الخادع كما أنه يلهي وينسي فينتهي بأهله إلى غرور خادع، فهو **قول لفظي يستمد قوته الإنجازية** من هذا القصر، الذي يستمد **قوته التأثيرية** من هذا التأكيد لمفهوم الكلام الذي يحمل في ثناياه الترغيب والتحذير، فالتذييل -كما يقول الزركشي-: "أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول؛ تحقيقًا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل"[٤٤].

وهي حقيقة حين يتعمق القلب في طلب الحقيقة، حقيقة لا يقصد بها القرآن العزلة عن حياة الأرض، ولا إهمال عمارتها وخلافتها التي ناطها بهذا الكائن البشري، إنما يقصد بها تصحيح المقاييس الشعورية والقيم النفسية، والاستعلاء على غرور المتاع الزائل وجاذبيته المقيدة بالأرض، هذا الاستعلاء الذي كان المخاطبون بهذه السورة في حاجة إليه ليحققوا إيمانهم، والذي يحتاج إليه كل مؤمن بعقيدة؛ ليحقق عقيدته ولو اقتضى تحقيقها أن يضحي بهذه الحياة الدنيا جميعًا.

وفي الكلام بعد إنجازي آخر يستمد قوته الإنجازية من خلال هذا العطف، أي عطف **{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ}** على **{وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ}** للمقابلة بين الحالين زيادة في الترغيب والتنفير –وهي الغاية التأثيرية-؛ ليحترز العاقل منه، هذا من

---

**(٤٢) فتح القدير ٥/ ٢١٠.**

**(٤٣) عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، طبعة فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م، ص١٨٣.**

**(٤٤) الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، ٣/ ٦٨.**

ناحية، ومن ناحية أخرى: فإن الحصر ادعائي باعتبار غالب أحوال الدنيا بالنسبة إلى غالب طالبيها، فكونها متاعًا أمر مطرد، وكون المتاع مضافًا إلى الغرور أمر غالب بالنسبة لما عدا الأعمال العائدة على المرء بالفوز في الآخرة.

كما يستمد فعل القول قوته الإنجازية من هذه الإضافة؛ فإضافة متاع إلى الغرور على معنى لام العاقبة، أي متاع صائر لأجل الغرور به، أي آيل إلى أنه يغر الناظرين إليه فيسرعون في التعلق به[٤٥]، فالحياة الدنيا مجرد متاع يغرُّ ويخدع من أقبل عليها، وهم الكفار، أما المؤمنون فالدنيا لهم متاع بلاغ إلى الجنة، فهي وسيلة إلى تقويم معاشهم ومعادهم، وسبب لا بدَّ من مباشرته لإصلاح أمرهم وإسعاد نفسهم وبني جنسهم؛ ولذلك فالقرآن يأمر الإنسان بالاستفادة من الحياة، على أن لا تكون همَّه الأول، وعلى أن يتخذ منها وسيلة للغاية الكبرى التي خلق من أجلها، وسببًا يضمن لنفسه به السعادة الآخرة، فيقول في هذا الصدد: **{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا}** [القصص: ٧٧]. فالصورة هنا تلامس الأشياء المحبوبة لدى الإنسان في الدنيا، فتقرها ولا تحاربها، إذا بقيت في إطار الحب الفطري، بحيث لا تطغى صور الحياة الدنيا على الفطرة فتطمسها، وتنسيها حقيقتها الزائلة.

**(٤٥) التحرير والتنوير ٢٧/ ٤٠٧.**

## نتائج البحث:

وفي الختام لابد من الإشارة إلى أن النتائج المستحصلة من قراءة أي بحث تمثل واحدة من المفاتيح التي تساعد القارئ على بلورة ما توصلت إليه طروحات المتن، ليكون القارئ على مقربة من صورته المتكاملة من العمل؛ لأن النتائج النهائية تبلور كيان البحث وتعمل على فهم المراد منه؛ لذا فإن البحث يلزمنا بتقديم جملة من النتائج وهي كالآتي:

- إن تحليل القرآن الكريم ضمن مناهج لسانية محدثة تتصل بعلم اللغة الحديث، مع الاستعانة بالأدوات اللغوية العربية لهو أمر في غاية الأهمية، فهو من جهة يدل على شمولية هذه المناهج في ضوء تشابه الفعل اللساني الإنساني واتحاده، ومن جهة أخرى يدل على شمولية القرآن الكريم لكل اللغات والمناهج العالمية، وقدرته على مجاراة التطور اللساني في المناهج العلمية الرصينة.

- أدت عناصر تقوية القوة الإنجازية اللغوية دورها في بلورة مقاصد المتكلم وتمكينها في نفس المخاطب بقوتها الإنجازية العالية، ومن ثمَّ إنجاز مقاصده إنجازًا قويًّا ناجحًا.

- تعتبر أمثلة القرآن على اختلافها، لوحات فنية رائعة لتصوير مشاهد الطبيعة بأشكالها وأنواعها المختلفة، وفي هذه اللوحات مشاهد ألفتها العرب وعرفتها في حياتها النوعية الخاصة، وفيها ما لم تعرفه ولا رأته ولا سمعت به مما قد يعرفه بعض الأمم والشعوب الأخرى. فالقرآن إذ يضرب الأمثلة بهذه المشاهد المنتزعة من مظاهر الكون وصوره، يؤلِّف بين القيم والمبادئ

المجردة التي تنزل من أجلها، والمشاهد الطبيعية التي يعيش الإنسان في أكنافها؛ وفي ذلك من إبراز وحدة الحقائق الكونية وترابطها الكلي ببعضها ما يطول شرحه ويعظم خطره، وليس لنا في هذه العجالة سبيل إلى بسط القول في ذلك.

- كثيرًا ما تأتي أمثلة القرآن كلاما كاملا مستقلا بذاته، أي دون ذكر للمعنى الممثل له على غرار ما هو معروف في مألوف اللغة العربية وأسلوبها. وإنما يكون المعنى الممثَّل له في هذه الحال مطويًّا، يشار إليه في تضاعيف المثال ذاته، بحيث لا يجهل السامع أو القارئ المعنى الكلي الذي سيق له المثال، وذلك على غرار الاستعارة وكيفية دلالتها على المعنى الأصلي المقصود.

ولا ريب أن سوق المثال بهذا الأسلوب يأتي أبلغ وألصق بالمعنى المراد، إذا لم يكن في سياق الكلام ما يدعو إلى التصريح به.

- تترابط الصور في أمثال المجموعات السابقة بروابط فكرية وتصويرية، في رسم الحق في ثباته واستقراره وانتصاره، ورسم الباطل في هزاله واندحاره، فالحق -كما ورد في تصويره- هو النور والحياة والماء النافع والشجرة الطيبة، والباطل هو الظلام والموت والزبد، والشجرة الخبيثة المجتثة. الحق هو الباقي والمنتصر؛ لأنه نور وحياة ومفيد، وعميق الجذور في هذا الكون، والباطل زائل، لأنه ظلام عارض في الكون والحياة، ومقطوع الجذور، فلا أساس له في هذا الكون وهذه الحياة.

فالأمثال القرآنية تعتمد على نظام العلاقات والروابط في تأدية المعاني، وتوضيح الرؤية الدينية للحياة والإنسان والكون، فهي ليست أمثالا منفصلة بل مترابطة ونامية لتكوين بناء فكري متكامل في القرآن الكريم.

كما نلاحظ أيضًا هذا الترابط في أمثال المجموعة الأولى حيث ترتبط الأمثال بعدة روابط تعبيرية وتصويرية وفكرية، من أهمها اعتماد تصوير المثل على "الماء" واختلاطه بالنبات، وتغلغله في عروقه، للإيحاء بحب الناس للحياة الدنيا، ثم التماثل في نهاية تصوير الدنيا بين المثل الأول والثاني، في فناء الدنيا، والإيحاء بالدار الباقية، وقوة الله القادر على كل شيء.

- يلاحظ أيضًا أن المثل القرآني فيه حذف كثير؛ لتحريك الخيال كي يملأ هذه الفجوات الفنية التي تدرك من سياق المثل، كما رأينا هذا عند التحليل، لكن رغم هذا الحذف إلا أن المثل يتسم بالبساطة، وسهولة الإدراك؛ لأنه كلما كانت الخطوط والأشكال بسيطة ازداد الجمال، وازدادت القوة.

## المصادر والمراجع


- أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، طبعة دار الفكر، د. ط.
- د. أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، طبعة دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، الطبعة الثانية، ٢٠١٠م.

- الأزهري، محمد بن أحمد الهروي: تهذيب اللغة، تحقيق محمد عوض مرعب، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.
- الألوسي، محمود بن عبد الله: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، يوليو ٢٠٠٣.
- أوريكيوني. مولز- ك. زيلتمان- ك: في التداولية المعاصرة والتواصل فصول مختارة، ترجمة وتعليق د. محمد نظيف، طبعة أفريقيا الشرق، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١٤م.
- د. باسم خيري خضير: التداولية وتحليل الخطاب الرؤى والتمثيلات، طبعة الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، هليوبولس، مصر الجديدة، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م.
- د. بدوي طبانة: البيان العربي دراسة تاريخية فنية في أصول البلاغة العربية، طبعة مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م.
- د. بشرى السياب: التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مجموعة مقالات، مؤسسة السياب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، لندن، الطبعة الأولى، ٢٠١٢.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: البيان والتبيين، طبعة دار ومكتبة الهلال، بيروت، د. ط، ١٤٢٣هـ.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق محمود شاكر أبي فهر، طبعة مطبعة المدني، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- الحكيم الترمذي، محمد بن علي: الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق د. السيد الجميلي، طبعة دار ابن زيدون، بيروت، دمشق، بدون طبعة ولا تاريخ.
- أبو حيان محمد بن يوسف: البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقي محمد جميل، طبعة دار الفكر، بيروت، د. ط، ١٤٢٠هـ.
- الخطيب القزويني، محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، د. ت.
- الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم: الفوز الكبير في أصول التفسير، عربه من الفارسية سلمان الحسيني الندوي، طبعة دار الصحوة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، طبعة الدار الشامية، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

- ابن سيده، علي بن إسماعيل: المخصص، تحقيق خليل إبراهيم جفال، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- سيزا قاسم: السيموطيقيا حول بعض المفاهيم والأبعاد، مقال ضمن مجموعة مقالات مترجمة بعنوان: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة مدخل إلى السيموطيقيا، إشراف سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، طبعة دار إلياس العصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ود/ عبد العال سالم مكرم، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، د. ط، ١٤١٣هـ- ١٩٩٢م.
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، طبعة دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، مارس ٢٠٠٤.
- الشوكاني، محمد بن علي: فتح القدير، طبعة دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.
- طالب سيد هاشم الطبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية، مطبوعات جامعة الكويت، الكويت، د. ط، ١٩٩٤م.
- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، طبعة المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، طبعة الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، ١٩٨٤م.
- عبد السلام أحمد الراغب: وظيفة الصورة الفنية في القرآن، طبعة فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- أ. د. عبد العظيم المطعني: الحكمة والمثل والتمثيل نظرات في أصولها وخصائصها الفنية، حولية كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٣٨٨هـ، العدد ٢١.
- علي محمد علي سلمان: كتابة الجاحظ في ضوء نظريات الحجاج- رسائله أنموذجًا، طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، البحرين، الطبعة الأولى، د. ت.
- د. عيد بلبع: الرؤية التداولية للاستعارة، مجلة علامات -مجلة ثقافية محكمة تصدر في المغرب، تعنى بالسميائيات والدراسات الأدبية الحديثة والترجمة- مكناس، المغرب، العدد ٢٣، سنة ٢٠٠٥.
- الغزالي، محمد بن محمد الطوسي: المستصفى، تحقيق محمد عبد السلام عبد الشافي، طبعة دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.

- فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة عبد القادر قنيني، طبعة أفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.
- فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، طبعة دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، طبعة دار الجيل، بيروت، الطبعة الثالثة، د. ت.
- القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان: فتح البيان في مقاصد القرآن، طبعة المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- المبرد، محمد بن يزيد الثمالي: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، طبعة عالم الكتب، بيروت، بدون طبعة ولا سنة نشر.
- محمد الأمين بن عبد الله الأرمي الهرري: حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، إشراف ومراجعة الشيخ محمد الأمين بن عبد الله الأرمي، طبعة دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
- د. محمد عبد المطلب: التداولية وأفعال الكلام، بحث منشور ضمن مجلة فصول، تصدر عن الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، المجلد ٢٥، العدد ٩٧، خريف ٢٠١٦م.
- د. محمود أحمد نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، طبعة دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د. ط، ٢٠٠٢م.
- د. محمود عكاشة: النظرية البراجماتية اللسانية التداولية دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، طبعة مكتبة الآداب، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣.
- د. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، طبعة دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، يوليو ٢٠٠٥.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- د. وهبة بن مصطفى الزحيلي: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، طبعة دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.